سهيميا السامية وكذلك في اليونانية كان اسمها ميهما (Νεωτερα Ἥρα) وزاد حضرة الاب ملاحظات عديدة في تعريف الالهة سيما المذكورة وانتشار عبادتها في سورية. ولبيان ذلك راجع النصوص الكتابية والآثار القديمة والأعلام اليونانية والسريانية التي يدخل اسم سيا او شيا في تركيبها كعبد سيموس (Ἀβεδσήμος) واماسيميا (Ἀμασσημία) وسومايوس (Σωμαῖος) وكذلك اسماء القرى اللبنانية ككفرشيما جنوبي بيروت وبيت شاما قرب نيحا وشامات في بلاد جبيل فقابل بين كل ذلك واستخلص من هذه المقابلة امرين: (الاوّل) ان في القرن الثاني والثالث للمسيح كانت في لبنان الهة تسمّى « شيا » (لا شيمي) معبودة فيه. (والثاني انّ عبادتها كانت منتشرة انتشاراً عظيماً وذلك من سورية الشمالية الى مدينة منبج

ثم واصل حضرة الاب ابحاثهُ وراجع ما جاء في الفصلين السابع عشر (٣٠) والثامن عشر من سفر الملوك الرابع حيث ورد ذكر الالهة تدعى اشيما كانت تُعبد في السامرة وكان عبّادها من اهل حماة فقلهم الملك سرغون من بلدهم ليستعمروا السامرة بعد ان جلى اهلها الى بابل سنة ٧٨٢ ق.م فقابل بين اسم اشيما وسيا وبيّن اوّلاً انّ اشيما الوارد اسمها في الكتاب الكريم هي إلاهة انثى لا إله ذكر. وثانياً انّ عبادة هذه الالهة اشيما او سيا ينتهي الى القرن الثامن قبل المسيح على الأقل وانّ عبادتها اصابت بعض الشهرة في سورية الوسطى وفي بلاد السامرة

ثم اتبع حضرتهُ ابحاثهُ فاستنتج منها نتيجة أخرى غاية في الاهمية بناها على دلائل ثابتة لا ريب فيها وانّ معبود اهل منبج المعروف بسيمون (σημάιον) الذي كان بين الاله زفس او هدد وبين هيرا او اترغاتيس هو الالهة سيا نفسها. ولمّا كانت سيمون هذه اشارة الى الملكة سميراميس استنتج اخيراً ان سيا هي سميراميس وانّ سميراميس هي شيا او اشيما المذكورة آنفاً. وهذه لعمر الحق نتائج جليلة تكشف القناع عن امور كثيرة مستغلقة حتى الآن في تاريخ معبودات السوريين

(التتمّة لعدد آخر)

التوحيد والوحي

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تزال مجلّة المقتطف حيناً بعد اخر تنشر في صفحاتها الآراء المبنية بعدم اعتقاد

اصحابها بالوحي الالهي والاسفار المنزلة. فتارةً يدسّ كتّابها هذه المزاعم الواهنة في جملة مقالات لا يُشعر ظاهر دسمها بباطن سمّها كاقوال له في سبنسر يطري مذهبهُ الدروينيّ في النشوء والارتقاء. وتخطّئا اقوال التوراة كانّ سبنسر إله الحكمة بلغ من العلم ما لم يبلغهُ انبياء الله. وتارةً يفرد لآرائه الباطلة مقالات برمّتها. لا نزيد اليوم شاهداً على قولنا غير مقالته المثبتة في عدد كانون الثاني الاخير (طي ٢٠ — ٢٤) عنوانها «اصل الاعتقاد بوحدانية الله» فان صاحب هذه المقالة يحاول ان يبين انّ عقيدة التوحيد وانتشارها بين الامم انّما هي ثمرة ارتقاء الطبيعة وتقدُّم الشعوب في معارج الحضارة. فيزعم ان الانسان القديم في وقت همجيته «ادرك اوّلاً عالم الكون واعتبر قواهُ البديعة النظام فقاس على نفسهِ حال الشمس والريح والجمد والبرق وسائر المظاهر الطبيعية فتمثّلها ذوات عاقلة فائقة في العظمة وجلالة الشان وان لها معهُ علاقة الساند بالمسود» ثم «انّ تشخيص المظاهر الطبيعية ازداد رسوخاً في اذهان البشر القدماء باعتقاد الارواح فاعتقدوا بسكنى الارواح في الريح والشمس والبرق الخ وعبدوها» ثم ضاء اخيراً عنصر التمدُّن اليوناني قبل المسيح فمهّد فلاسفة اليونان الطريق الى ظهور ديانة اوضح برهاناً واعلى سلطاناً قرّبت العقول الى حقيقة التوحيد وكان للشؤون السياسية في امّة الرومان حظٌّ في اسباب الارتقاء الى هذه العقيدة. وما قيل عن الشعوب اجمالاً لا يُستثنى منهُ اليهود فانّ توراتهم تشهد على اعتقادهم بتعدّد الالهة ألا ترى انّ في اوّل التوراة ذكر الاله على صيغة الجمع (الوهيم) ويُذكر في التوراة (الترافيم) اي الالهة الحامية للعيال. لكن اليهود لمزيد ذكائهم وعصبيّتهم القوميّة ومبادئهم الادبية سبقوا الى الاعتقاد بالتوحيد سائر الامم

هذه خلاصة المقالة التي وردت في المقتطف يمكن اختصارها بهذه القضايا الثلاث

١ً ان الشعوب الاولى لم تعتقد بوحدانيّة الله بل ابتدأت كلُّها بالشرك

٢ً انّ عقيدة التوحيد ليست الّا نتيجة ترقي العقل البشريّ على توالي الاعصار

٣ً ليس للشعب الاسرائيلي مزيّة على غيرهِ في اعتقادهِ بالتوحيد الّا انهُ سبق غيرَه اليها

فاذا بيّنّا بطلان هذه القضايا بطل قول المقتطف وظهرت سفسطةُ للعيان

١ً (تفنيد القضية الاولى) زعم كاتب المقتطف انّ الشرك هو الديانة الاولى التي دان بها الشعوب الاقدمون في اوّل امرهم وقت همجيتهم فطلبنا لقولهِ هذا برهاناً

مبنيًا على العقل او النقل فلم نجد. وانما اكد الامر كألوف عادة السوفسطائيين كأنهُ لا يحتاج الى دليل. فيمكننا نحن ايضًا ان نقابلهُ بالمثل فنردَّ كلامهُ بالنكران استنادًا الى المبدإ الفلسفي انَّ ما يؤكد بلا حجَّة يُنكر ايضًا جزافًا بلا حجَّة. لكننا نحن الكاثوليك ليس من دأبنا ان نرمي الكلام على عواهنهِ واذا اعتقدنا حقيقة امكننا ان نبني اعتقادنا على حجج يقبلها العقل ولا يبطلها النقل كيف لا وقد اوصانا بطرس الرسول في رسالتهِ (٣ : ١٥) ان نكون « مستعدين دائمًا للاحتجاج لكل من يسألنا حجج الرجاء الذي فينا بوداعة ومهابة » وعليهِ فنقول ان دعوى المقتطف بان الشرك هو الديانة الاوَّلية باطلٌ من وجوه شتَّى هذه اخصُّها

اولًا لانَّ مبنى هذا القول على اساس فاسد وهو انَّ البشر الاوَّلين خُلقوا في حالة الهمجية لا يعرفون من دينهم ودنياهم الَّا النزر القليل وربَّما زعموا انَّ الانسان نفسهُ اصلهُ من الحيوان كما انَّ اصل الحيوان من الجماد فينكرون انَّ الله هو عزَّ وجل خالق الكائنات ومكوِّن الانسان من العدم ومصوره على شبههِ ومثالهِ بما افاض فيهِ من العقل والادراك وهو كما لا يخفى مزعم باطل يزيفهُ الكتاب الكريم الذي يُعلمنا صريحًا بان الله صنع الانسان واعطاهُ نفسًا ناطقة وجعلهُ كامل الصفات ليكون ابًا لجميع البشر ويُورث ابناءهُ من بعدهِ الحقائق التي يحتاجونها لآخرتهم

ثانيًا وليس قول التوراة هذا كلامًا فارغًا مبنيًا على الاوهام الخيالية والمزاعم الفرديَّة بل يثبتهُ تقليد كل الشعوب التي تروي كلها بلسان واحد انَّ الانسان خُلق في بداية امرهِ في حالة البراءة والمعرفة التامة والفهم المتوقد لولا انهُ فقد بتعدِّيه لوصية خالقهِ مرتبتهُ هذه السامية دون ان يفقد قواهُ الطبيعية من الادراك والفهم

ثالثًا وما تقولهُ التوراة وتشهد بهِ الامم تؤيدهُ الآثار القديمة الباقية من الزمن الذي سبق عهد التاريخ كالصروح العالية والابنية الشاهقة وظُرَف الصناعة من اسلحة حجريَّة ونبال صوَّانية ثم مصوغات معدنيَّة عجيبة تُرى في كل المتاحف الكبيرة ونقوش بديعة التي يرتقي بعضها الى الوف من السنين فكل ذلك يدلُّ على انَّ البشر الأقدمين كانوا على جانب من العقل ليس هو دون عقل المحدثين مع ترقيهم في العلوم. وربَّما وُجدت في هذه الآثار امور عجيبة لم يدرك علماؤنا اسرارها حتى الآن كتحريك بعض الاثقال وتركيب بعض الاعمال الصناعيَّة مما يُثبت تقهقر العالم في بعض الاحيان بدلًا من ترقيهِ

رابعًا وما تقولهُ اجمالًا في عقول الاوّلين وسيرِ مداركهم تحولهُ خصوصًا في اعتقادهم بوجود الاله الواحد فانَّ الآثار القديمة المكتشفة حديثًا في مصر وبابل وشوشن من الكتابات الهيروغليفيَّة والمسمارية تنبئ بان الشعوب البائدة لم تبتدئ بالشرك والوثن كما زعم المتطلف وانَّما كانت ديانتها الاولى الاعتقاد بوحدانية الله عزّ وجل كما اخذتهُ من الابوين الاولين اللذين عنهما تفرَّعت القبائل والامم وان اختلفت في اسم هذا الاله الوحيد. ودونك بيانًا لقولنا شواهد لا يستطيع المتطلف انكارها

﴿ ديانة المصريين الاولى ﴾ قال المسيو دي روجه امام العلماء في العاديات المصريَّة (في كتابهِ عن ديانة المصريين الاقدمين المطبوع في باريس سنة ١٨٦٩ ص ١٢ و ١٧ و ٢٦) : « انَّ اوَّل شيء نستطيع اثباتهُ هو انَّ المصريين الاوّلين في اقدم اطوارهم قبل موسى الكليم بزمن طويل كانوا يعتقدون بالاله الواحد الوحيد الفرد ليس معهُ اله آخر وهو الخالق لكل الكائنات ومبدع السماء والارض وما فيهما. امَّا الشرك فلا تظهر آثارهُ في الكتابات الَّا بعد ذلك اي نحو الفي سنة قبل المسيح ». وقال ماريت بك الشهير الذي اطلع المتطلف مرارًا علمهُ بالآثار المصريَّة في كتاب وصف آثار متحف بولاق : « انَّ فوق الآلهة المصريَّة إلهًا واحدًا فردًا سرمدًا غير مخلوق محجوبًا في اعماق جوهرهِ غير المنظور وهو خالق السماء والارض لم يُخلَق شيء الَّا بهِ ». وكذلك نحيل المتطلف الى كتب المسيو مسپرو الذي يُغني لسمهُ عن تعريف مقامهِ وهو يقول في تاريخ الشعوب الشرقية القديم (الطبعة الخامسة ص ٢٧) : « انَّ اله المصريين ومعبودهم الاوَّل كان ذاتًا فردًا كاملًا ذا علم ثابت وادراك تام قائمًا بذاتهِ حيًّا بجوهره هو ابو الآباء وامّ الامهات الوحيد الذي لم يُخلَق ولم يُولد »

﴿ ديانة البابليين ﴾ انَّ التوحيد بين البابليين الاوّلين كان شائعًا بهذا المقدار حتى انَّ رينان الزنديق الشهير اراد في كتابهِ عن اللغات السامية ان يعمّم هذا القول لكل الساميين فزعم انَّ الامم الساميَّة كانت مطبوعة على عقيدة التوحيد بخلاف الامم الآريَّة التي كانت من اصلها مُشركة. وانَّما غاية رينان في ذلك ان يبطل الوحي ويجعل التوحيد خاصَّة طبيعيَّة للساميين. وفي قوله على الاقل دليل على انَّ الساميين لم يكونوا في اوَّل الامر مشركين. وكذلك كتب لونرمان في تاريخهِ الشهير للشعوب الشرقية القديمة : « انَّ ديانة اشور وبابل في امورها الجوهريَّة شبيهة بدين قدماء المصريين او بالحري

دين كل الشعوب القديمة اعني انك اذا جرّدتها عن قشرة الشرك التي شوّهتها بها خرافاتُ العامّة وجدت مبدأ اصليًا يدلُّكَ على ما اوحى به الله في اوّل العالم اعني وحدانيّة الله »

﴿ ديانة الفينيقيين القديمة ﴾ قال المسيو دي فركويه اكبر العلماء بالعاديّات الفينيقية : من تصفّح الكتابات الفينيقيّة وجد الهة متعدّدة على تعدّد كل مدن فينيقية الّا انهُ يُستشفّ من وراء هذا العدد الوافر للآلهة عقيدة الوحدة الالهيّة . وليس بعل صور وبعل صيداء وبعل طرسوس وامثالها الّا وجوهًا متعدّدة للاله العظيم الوحيد حسب امكنة عبادته وهو البعل الاكبر الذي ربّما دُعي ايضًا باسم ملكوث او باسم الملك (Moloch) وغير ذلك من الاسماء المشعرة بالاله العظيم الواحد » . وقال المسيو ف. برجه : انّ عند الساميين تعدُّد الآلهة ينتج عن عدد امكنة عبادتها . او بالحري انّ الشرك عندهم متوقف على تعدُّد وجوه العبادة وامكنتها اكثر منهُ على تعدُّد الاشخاص المتألهة

وكان يمكننا ان نتتبع هكذا آثار كل الامم القديمة كاهل الهند والصين واليونان فنثبت انّ الدين عند كل هذه الشعوب كان في اوّل الامر مختصًا باله واحد سامي السلطة كامل الصفات وخالق العالم ثم غلب عليه بتمادي الأيام التوثّن والشرك

٢ً (تفنيد القضية الثانية) فاذا ثبت بطلان قضية المتطف الاولى وزعمهُ بان الشعوب في اوّل امرها كانت مشركةً ثم صارت موحدة سقط ايضًا زعمهُ الآخر وهو قولهُ انّ عقيدة التوحيد انّما هي نتيجة ترقّي العقل البشري مع توالي الاعصار . والنتيجة اوضح من النهار لانهُ اذا ثبت ان الشعوب قد ابتدأت بالتوحيد كما بيّنّا ثبت ايضًا بطلان قول المقتطف بانّ الاعتقاد بوحدانية الخالق انّما هو ثمرة العمران والتمدُّن والقولان كما ترى على طرفي نقيض

ولكن بوسعنا ان نفنّد هذه القضيّة الثانية رأسًا بتصفُّح التاريخ وآثار الامم القديمة فانّنا على قدر ما نتقدّم في درس ترقّيها في الماديّات واتّساع نطاق حضارتها وجدنا دينها الذي كان في اوّل الامر ساذجًا مُشعرًا بوحدانيّة الخالق لا يزال يزيد كثافةً وغلظًا فترى عدد الالهة يتزايد الى ما لا نهاية لهُ منها آلهة ذكور ومنها اناث تزدوج وتتناكح وتلبس كل اهواء النفس الامّارة بالسوء . فخذ مثلًا دين اليونان ودين الرومان ودين العرب القديم ودين المصريين ودين الاشوريين فان آثار كل هذه الامم

تُشير في الزمن الاوّل الى ديانة قريبة من العقل موافقة للوحي الاصلي بخلاف آثارها المستحدثة في الازمنة القريبة من عهدنا فان كتب تاريخ اليونان الحديثة وكتب الرومان تفصل معبودات هذه الاديان واصنامها وتسلسلها فتمرينا في ارتباك لا محيص لنا منهُ . وكذلك العرب الذين كانوا اوّلاً موحّدين على دين اسماعيل بلغ منهم الجهل الى ان يعبدوا كما قيل اصناماً على عدد أيام السنة

ونتعجّب من المقتطف كيف يُغضي عن كل هذه الشواهد ليبني مقالهُ على شفير هار وذلك رغبة في مضادة الاسفار المقدّسة

كلاَّ يا صاح ان التمدُّن والحضارة واسباب العمران ليست وحدها كافيةً لنشر عقيدة التوحيد . وكذلك كل حكمة الفلاسفة الأقدمين لم تقوَ على إقناع مدينة واحدة بوحدانيّة الله . بل كان هؤلاء الحكماء مع سمو مداركهم وبلوغهم بعقولهم عتلهم الى معرفة التوحيد يتبعون ضلال العوامّ ويسجدون للاصنام ويكرّمون الطواغيت كالعامّة . وان جاهر احدهم كسقراط بوحدانيّة الله عُدَّ من الكفرة وجاهدي اللاهوت كما عدَّ الرومان المسيحيين الاوّلين زنادقة لقولهم بالله واحد ونفورهم من عبادة الاوثان

ولو شاء المقتطف مثلاً قريباً بين صفحة قولنا فهناك الهند والصين واليابان وكلها ممالك جليلة عظيمة الثروة كبيرة الشأن توفَّر فيها عدد الحكماء فهل تمكّنت مع ذلك بعد الوف من السنين ان تترقى من الوثنيّة الى عبادة الاله الواحد . الا تراها متحكمة في ظلمة الشرك الى ان يبعثها الله من سباتها وينيرها بانوار الدين المستقيم على يد المرسلين الذين لم يدخلوها الّا منذ زمن قريب فصنعوا بقوّته تعالى بسنين قليلة ما لم ينلهُ الترقي واسباب العمران بالوف من السنين

ثمَّ انهُ لو صح قول المقتطف بان حصافة الادراك وقوّة الفهم هي التي تجلب الناس الى التوحيد لما رأينا في زماننا كبار الكفّار الذين يدّعون لنفوسهم الكمال ويظنهم المقتطف يجاهرون بالزندقة والكفر فينكرون الخالق ويشيدون بقوى الطبيعة راجعين القهقرى الى توثّن القدماء . وقد عرفنا منهم من صار يعبد الشمس . والعوذ بالله

٣ (تفنيد القضيّة الثالثة) بقي علينا ان نبطل قضيّة المقتطف الثالثة وهي قولهُ بان الشعب الاسرائيلي لا يمتاز عن غيره من الشعوب باعتقاده في وحدانيّته تعالى

اللهمَّ الّا بكونهِ سبقهم لفطنتهِ وعصبيَّتهِ القوميَّة في نبذ الشرك واتباع دين التوحيد

ناشدتك الله يا صاح كيف امكنك بشطبة قلم تحو تاريخ شعب الله فتساوي بينهُ وبين سائر الامم . لا اظنُّك تنكر لسفر التوراة شهادة بقية الكتب التاريخية فراجع اسفار موسى واعتبر اخبار الاسرائيليين أتجد اثرًا لزعمك ؟ اما كان ابراهيم الخليل بين الكلدانيين الى ان دعاهُ الله وافرزهُ من قومهِ وعشيرتهِ ليجعلهُ ابًا لشعب كبير وحافظًا على وديعة التوحيد التي كانت كلَّ يوم تتشوَّه بخرافات الامم واوهامهم الباطلة ؟ أنسيتَ كيف خلف ابراهيمَ ابناؤهُ وكيف احتلَّت ذريَّتهُ مصر فنجَّاها الله بعد رقّ العبوديَّة من شرك المصريين واصنامهم . وكيف قام موسى الكليم فاعادهم الى فلسطين واتَّخذ كل الاحتياطات ليقيهم من آلهة الكنعانيين والامم المجاورة . وجاء من بعدهِ الانبياء فلم يزالوا يردُّون الاسرائيليين عن ميلهم الى عبادة الاصنام والربُّ يضربهم كلَّما ابتعدوا عنهُ ويرحمهم اذا انابوا اليهِ . فهذا كلُّهُ واشياء كثيرة غيرها يجدها في الاسفار الكريمة طالب الحقّ اللهمَّ ألَّا أن يغشي الكفر على بصيرتهِ فلا يرى ما هو اضوأ من النور

لمَّا احتجاجهُ بكلمة « الوهيم » وبلفظة « الترافيم » فهو باطل سبق كل آباء الكنيسة وزيَّفوهُ سلفًا . فان ورود « الوهيم » على لفظ الجمع ليس دليلًا على شرك العبرانيين وانَّما كانت لفظةً شائعة في أيام موسى لشارةً الى الاله الاعظم . ثم انَّ في نصّ التوراة نفسهِ جوابًا على هذا المشكل اذ يجمع موسى بين لفظ الوهيم والفعل المفرد فيقول مثلًا : « في البدء الوهيم خلق السماء والارض » لا « خلقوا » دلالةً على الاله الواحد الفرد . ولعلَّ ميم الجمع في هذا الاسم الكريم لمجرَّد التفخيم كما في العربية لفظة « اللهمَّ » . هذا فضلًا عمَّا وجدهُ الآباء في لفظ الجمع من التنويه بتثليث الأقانيم في الاله الواحد الجوهر المنفرد الذات

واما « الترافيم » فان الكتبة قد اختلفوا في تعريفها اي اختلاف ويقتضي ايراد آرائهم فصلًا مطوَّلًا نؤجلهُ لمرَّة اخرى ان شاء الله . ونكتفي اليوم بقولنا انهُ لا يوجد في التوراة اثر لعبادة الاسرائيليين للترافيم وغاية ما يقال عنها انَّها كانت كشبه احراز او طلاسم يستفتيها بعضهم . اما قولهُ عن فطنة اليهود وآدابهم وعصبيَّتهم القوميَّة فليست سببًا لاعتقادهم بالتوحيد بل نتيجة لهُ . هذا ما كتبناهُ تلخيصًا على جناح السرعة وان اراد المقتطف ان نوسِّع لهُ المقال في هذا الشأن لما تردَّدنا في تلبية دعوتهِ . والسلام